بسم الله الرحمن الرحيم

دلالة السياق في دراسات
الإمام
مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني

بقلم :أ. د. أحمد حسن فرحات

لمحة تعريفية:

يعتبر الإمام مكي بن أبي طالب القيسي – ابن القيروان – من مفاخر البلاد التونسية، حيث ولد في القيروان عام 355هـ وترعرع في ربوعها، ودرج في كتاتيبها، وأخذ عن أكابر علمائها.

ثم ولى وجهه مرتحلا في طلب العلم شطر البلاد التي كانت مشهورة بمراكز العلم.

فعرفته بلاد- مصر، والحجاز، والشام- دارسا مجدا طموحا، لا يقنع بالقليل ، ويطمع أبدا في المزيد، حيث قضى فيها شطرا من حياته، ينهل من معين علمائها، ويلتقي كثيرا من أعلامها، ويقيم بنيانه العلمي على أساس متين، مبتغيا في ذلك وجه الله، وخدمة كتابه الكريم. ثم ولى وجهه شطر بلاد الأندلس، فنزل في قرطبة، مدرسا في مساجدها، مسهما في نهضتها، حيث أخذ عنه العلم خلق لا يحصون، كما ترك وراءه كثيرا من الكتب النافعة، التي ماتزال تضيء للأمة طريقها في ميادين العلم والمعرفة.

لقد كان لي شرف اكتشاف هذا الإمام- في العصر الحديث- ولقد ذكرت قصة اكتشافي له بمشاركتي في الندوة العلمية، التي أقامتها جمعية المحافظة على القرآن الكريم في عمان في 20-8-2016-بمناسبة مرور ألف عام على وفاته.

وحق لهذا العلم أن يحتفل الناس به، وأن يبرزوا جهوده ومؤلفاته الكثيرة.

ولا شك أن مدينة القيروان- اليوم- تفخر بأن قدمت للعالم الإسلامي هدية فريدة من نوعها، باحتضانها لابنها البار، الذي خلد ذكرها على مر الأيام، والذي عم فضله مشرق الأرض ومغربها.

دلالة السياق في دراسات الإمام مكي:

يعتبر السياق عاملا مهما في بيان معاني الكلام، وترجيح بعضها على بعض. وعلى الرغم من أن هذه الحقيقة موضع اتفاق لدى القاصي والداني، من علماء الأمة، إلا أنهم يتفاوتون في الأخذ بها، في الميدان العملي والتطبيقي. بل إننا نرى كثيرا من الأخطاء الواقعة في التفسير ترجع إلى عدم مراعاة السياق. ويهدف هذا البحث إلى تبين مقدار اهتمام مكي بدلالة السياق، وتعويله عليه، في دراساته التفسيرية المتعددة: ككتاب الهداية في التفسير، وكتاب:

تفسير مشكل إعراب القرآن، وكتاب: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، وكتاب: الكشف عن وجوه القراءات، وكتاب: الياء ات المشددات في القرآن وكلام العرب. وغيرها. وسنذكر في الصفحات التالية: نماذج من كتبه ودراساته المتعددة، تؤكد هذه الحقيقة، وتبرزها واضحة جلية

نموذج من سورة يونس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ يونس: ٢٨

قال مكي في الهداية:

﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ ۖ: أي: فرقنا بين المشركين، وما كانوا يعبدون من دون الله، من قولهم:

" زلتُ الشيء عن الشيء" فأنا أزيله: إذا نَحَّيْتُهُ: وَزَيَّلْنَا- على التكثير-.

وحكى الفراء أنه قرأ " فَزَايَلْنَا ". يقال: لا أزايل فلاناً: أي: لا أفارقه. فمعنى زايلنا: معنى: زيلنا. والعرب تفعل ذلك في فَعَّلت ": يلحقون أحياناً: الألف: مكان التشديد، فتقول: فاعلت، والفعل واحد.[1] وقريب من ذلك:

ما ذكره مكي في مشكل إعراب القرآن:

قَوْله ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ : هُوَ فعّلنَا من زلت الشَّيْء عَن الشَّيْء فَأَنا أزيله: إِذا نحيته- وَالتَّشْدِيد للتكثير-. وَلَا يجوز أَن يكون فيعلنَا من زَالَ يَزُول، لِأَنَّهُ يلْزم فِيهِ الْوَاو، فَيُقَال: زوّلنا.

وَحكى الْفراء أَنه قريء: فزايلنا- من قَوْلهم: لَا أزايل فلَانا، أَي: لَا أفارقه-.

فَأَما قَوْلهم: لَا أزاوله، فَمَعْنَاه: لَا أحاتله. وَمعنى زايلنا، وزيللنا: وَاحِد.[2]

ويقول ابن الشجري في نقد كلام مكي في مشكل الإعراب:

أما قوله: لا يجوز أن يكون "فيعلنا" من زال يزول لأنه يلزم فيه الواو، فيقال: "زولنا" فغير صحيح، من قبل أنه لوكان "فيعلنا" من- زال يزول- كان أصله "ز يولنا"، ثم تصبح الواو ياء لوقوع الياء قبلها ساكنة، ثم تدغم الياء في الياء، فيقال: "زيلنا".

وذلك أن من شرط الياء والواو — إذا تلا صقتا، والأولى منهما ساكنة-أن تقلب الواو ياء، ولا تقلب الياء واوا-كما زعم مكي .

فمما تقدمت فيه الياء قولهم في "فيعل" من الموت: ميت، ومن هان، يهون، وساد، يسود:

---

[1] الهداية لمكي :ص :3258

[2] مشكل إعراب القرآن لمكي : 1-344

هين، وسيد. الأصل: ميوت، وهيون، وسيود. فعل فيهن ما ذكرنا في مشكل الإعراب ومما تقدمت فيه الواو: "الشي" و" الطي" و" اللي" مصادر: "شويت" و"طويت" و"لويت"، أصلهن: "شوى" و"طوى" و"لوى"، ثم صرن إلى القلب، والإدغام.[3]

هذا ما قاله ابن الشجري في نقد كلام مكي–الذي جاء مختصرا في كتابه هذا–وقد سبق أن قلنا إن مكيا وزع ما عنده من العلم، على كتب متعددة–وهذا من التفنن في التأليف الذي اشتهر بهه مكي –ومن ثم سنرى كيف يرد مكي على ابن الشجري– الذي جاء بعده بأكثر من مائة عام–حيث توفي ابن الشجري عام542– على حين توفي مكي عام 437هـ

يقول مكي في كتابه: "الياء ات المشددات في القرآن وكلام العرب":

الباب الأول: أن تكون الياء المشددة: أصلها– في الوزن– حرف واحد مشدد، لا حرفان : – فمن ذلك ما يأتي على وزن " فعّل"، أو" فعلّ"، أو " يفعّل "، وشبهه . نحو : " زيّن" و" بيّن" و" زيّل"– الياء المشددة، بإزاء العين المشددة – فهي حرف واحد مشدد – في الأصل، والوزن–.

ومن هذا قوله : " فزيلنا بهم" –آية 28:يونس–، أي :

فرقنا بين المشركين، وما كانوا يعبدون في الدنيا. وهو " فعّلنا". فالياء المشددة، بإزاء العين المشددة . وهو من قولهم : زلت الشيء عن الشيء فأنا أزيله، إذا نحيته عنه.

ولا يحسن أن يكون وزنه " فعّلنا " من " زال يزول "إذا تنحى ؛ لأنه يلزم أن يقال – بالواو المشددة – فيقال : " فزوّلنا " .

ثم يذكر مكي ما ذهب إليه ابن الشجري تمهيدا لرده عليه، فيقول:

فإن قيل: فهل يجوز أن يكون وزنه " فَيْعَلْنا "– الياء المشددة: أصلها حرفان: ياء، واوو– و" من زال، يزول " ثم تدغم الياء في الواو، بعد أن تقلب ياء، على أصول العربية؟

قيل: هذا في القياس غير ممتنع، لكن المعنى يبطل ، لأن " زال يزول " لا يتعدّى ، و" فَيْعَل" منه لا يتعدى . و" زيلنا "– في الآية – تعدى في المعنى ؛ لأن معناه : نحينا العابدين عن المعبودين، أي فرقنا بينهم .–

و "فَعَّلْت" بابه: التعدي في كل فعل لا يتعدى ؛ لأنه أخو "أفْعَل". فإذا كان " زِلْتُ الشيء

[3] أمالي ابن الشجري:3-189

عن الشيء: يتعدى، و" فَعَّلَ" يتعدى: كان ذلك أولى به.[4]

وهكذا نرى أن مكيا رد على ابن الشجري مراعيا سياق الكلام، حيث تنبه مكي إلى أن "زيلنا" تعدى في الآية :" زيلنا بينهم" فهو إذن من" زلت الشيء عن الشيء": إذا نحيته عنه. و لا يصح أن يكون من "زال يزول" لأنه فعل لازم لا يتعدى.

ومثل هذا الخطأ يقع كثيرا عند علماء العربية، الذين تستهويهم مفردات الإعراب، وتشغلهم عن مراعاة ساق الكلام.

نموذج من سورة البقرة:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٨

قال مكي في كتابه الهداية:

قوله:﴿ والمطلقات يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قروء ﴾:

ومعناه: المطلقات– المدخول بهن، ذوات الحيض – غير الحوامل – يتربصن عن التزويج: ثلاثة أطهار. وقيل: ثلاثة حيض.

والقرء– في اللغة–: الوقت، فيصلح: للطهر، ويصلح للحيض .....

.....

قال ابن عباس: " استثنى اللَّه من هذه الآية: اللواتي– لم يدخل بهن– والحوامل ".

وقال قتادة : " هو نسخ ".

وقال غيرهما : " هو تبيين، لأن هذه الآية– يراد بها: الخصوص–.فبين المراد في " الأحزاب "، و"سورة الطلاق". فهي مبيّنة، لا منسوخة.[5]

ويلاحظ أن كلام مكي هنا جاء على طريق الاختصار، وفيه شيء من الغموض، غير أن مكيا قد فصل القول، وأزال الغموض ، في كتابه" الإيضاح لناسخ القرآن ونسوخه":

قال مكي في "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه":

"﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ ﴾ :

فظاهر حكم الآية ولفظها يقتضي أن كل مطلقة تعتد بثلاثة قروء .

–والأقراء : الأطهار– عند مالك وأصحابه– وأصله: الوقت وهو يصلح للأطهار والحيض ،

[4] الياء ات المشددات لمكي ص:19-20 –المكتبة الدولية بالرياض-

[5] الهداية لمكي:1-759-760

لكن جعلها مالك للأطهار، لدلائل كثيرة ليس هذا موضعا لذكرها-.

فلما وقع لفظ الآية عاما بين الله – جل وعز- ذلك وخصصه:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ ﴾

تم الكلام على معنى : واللائي لم يحضن.- كذلك عدتهن ثلاثة أشهر-. وحذف الثاني لدلالة الأول عليه.

ثم قال:﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ﴾

فصارت بذلك آية البقرة غير عامة في جميع المطلقات، إذ خرج منها اليائسة، والتي لم تحض والحامل. وبقيت الآية على عمومها، في كل مطلقة بعدما خرج منها ما في سورة الطلاق .

فبين الله وخص مما بقي: المطلقة غير المدخول بها، فبين الله أنها لا عدة عليها ، فقال في سورة الأحزاب :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩ ﴾ الأحزاب: ٤٩

فخرجت التي لم يدخل بها من عموم آية البقرة.

فحصل في آية سورة البقرة: تخصيصات من سورتين .

كذلك أيضا أية سورة الطلاق: عامة في كل المطلقات اليائسات ، والمطلقات اللواتي لم يحضن. فخصصها وبينها آية الأحزاب ، فبينت أن ذلك إنما هو في المدخول بها، دون من لم يدخل بها.

فهذا كله تخصيص، وبيان، لا نسخ.

وقد قيل: إن آية الطلاق غير مخصصة، ولا مبينة لآية البقرة ، لأن ذكر الأقراء في سورة البقرة، يدل على أنها نزلت في ذوات الأقراء خاصة . فخرج من ذلك بظاهر نص آية البقرة: اليائسة من الأقراء ، والتي لم تحض ، والحامل . لأنهن لسن في حالهن من ذوات الأقراء. ففي آية البقرة: إنما أريد بذكر الأقراء: بيان ذلك ، ولا تحتاج إلى أن تبينها وتخصصها في ذلك غيرها من الآي.

فبين في سورة البقرة: حكم ذوات الأقراء في العدة . وبين في " الطلاق " حكم غير ذوات

الأقراء في العدة. فليس واحدة منهما تخصص الأخرى، ولا تبينها.

فعلى هذا القول، يكون في آية البقرة: تخصيص واحد بآية الأحزاب ، فثبت أن آية البقرة في المدخول بهن من النساء ، وآية الأحزاب في غير المد خول بهن.

فهذا ما حفظته– في هذه الآية– من أقوال العلماء.

والذي عندي: أن آية الأحزاب غير مخصصة لآية البقرة ؛ لأنه تعالى قد قال:

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ – البقرة: ٢٢٨–

فدل هذا النص على أنها في ذوات الحيض ، وأنها في المدخول بها ، وأنها في غير اليائسات من المحيض . فآية البقرة قائمة في حكمها غير محتاجة إلى تخصيص بغيرها.

فعلى هذا قياس التخصيص، والنسخ، والاستثناء . فاعرفه كله.[6]

وهكذا نرى استدراك مكي على من سبقه من العلماء، بناء على تنبهه لسياق الآية، التي لم يتنبه لها سابقوه، علما بأن هذا الاستدراك لم يأخذ مكانه في كثير من المؤلفات التي جاءت من بعده، مما يشي بأن كثيرا من مؤلفيها لم يطلعوا على ذلك.

نموذج آخر من سورة البقرة:

قال مكي في الهداية:

.....

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ البقرة: ٨٣

قوله: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ ﴾ : معطوف على المعنى في " لَا تَعْبُدُونَ ". فلذلك أتى بلفظ الأمر، لأن صدر الكلام: مبني على النهي.

ومعنى: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ : مروهم: بقول لا إله إلا اللَّه "

– رواه الضحاك، عن ابن عباس–.

وقال ابن جريج: " معناه: قولوا: صدقاً في أمر محمد صلى اللَّه عليه وسلم.

وقال سفيان الثوري: " مرورهم: بالمعروف، وانهوهم: عن المنكر ".

وقال قتادة، وغيره: " قولوا لهم حسناً من القول ".

[6] الإيضاح لمكي:97-100

وقال أبو عبيدة: " قولوا حسناً، من القول: للمسلم، والكافر ".
وقال قتادة: " هي منسوخة، بآية السيف ".
ولا يجوز أن تكون منسوخة: إلا على قول مَن قال: إن المعنى: قولوا: للجميع: حُسْناً من القول.
وباقي الأقوال: لا يمكن أن تكون فيه منسوخة، لأن الأمر بالمعروف، لا ينسخ /، والأمر بإظهار / الصدق في النبي عليه السلام. لا ينسخ.
قوله: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾:
هي زكاة: كانت عليهم. تأكلها نار من السماءِ، ومن لم تأكل النار زكاته. فهو: غير مقبول.
قوله: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ ﴾ :
قال ابن عباس: " أعرضوا: عما جاء به محمد صلى اللَّه عليه وسلم، من الفروض: إلا قليلاً منهم ".
وهو خطاب لمن بحضرة رسول اللَّه -عليه السلام-.
وقيل: هو إخبار عن أسلافهم، فمعناه: ثم تولى أسلافكم إلا قليلاً منهم. وأنتم الآن معرضون: خطاب- لمن بالحضرة- أي: وأنتم: مثل أولئك الذين، تولوا من أسلافكم.
ودل على هذا التأويل: ما بعده، من ذكر سفك الدماء: أنه إخبار عن أسلافهم، ومخاطبة لمن بالحضرة - ولم يسفك من بالحضرة الدماء- ولا أخرج بعضهم: بعضاً من ديارهم. إنما ذلك فعل أسلافهم. فكون الكلام كله على سياق واحد: أولى وأحسن.
وهكذا ا يرجح مكي بناء على مراعاة السياق بقوله:
" فكون الكلام كله على سياق واحد: أولى وأحسن."[7]

نموذج آخر من سورة البقرة:

قال مكي في الهداية:

.....

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩ ﴾ البقرة: ١٩٩

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾:
يعني قريشاً: إذ كانت تفيض: من مزدلفة.
وقيل: يعني: سائر العرب. إذ كانوا يفيضون: من عرفات.
- فيكون في الكلام-على هذا القول-: تقديم، وتأخير. وفي ذلك أنزل:

[7] - الإيضاح لمكي:124-

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ الأعراف: ٣١

فأباح لهم: ما حرموا على أنفسهم، من لبس الثياب، والطعام، والشراب.

وقد قيل: إن " ثُمَّ ": بمعنى " الواو"- في هذا-.

فأما المعنى- على قول الضحاك-: ف" ثم": على بابها، لأنه يقول: أمرهم: أن يفيضوا من جمع. والإفاضة من جمع: لا شك أنها بعد الوقوف، بمزدلفة، وبعد الإفاضة، من عرفات. وقد قال الطبري:" إن من قال: إنه عرفات، ففي الكلام: تقديم، وتأخير،

ومعناه:﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ ﴾البقرة: ١٩٧

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩ ﴾ البقرة: ١٩٩

وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧ ﴾ البقرة: ١٩٧

﴿ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ ﴾:قال:

" ولولا الإجماع- من أهل التأويل-: على أن المراد بقوله:

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ ﴾ : من عرفات، لكان قول الضحاك: هو الوجه. البين:

أن المراد به:" جمع "، لأنه على ترتيب الكلام، وسياقه. ولا تقديم فيه، ولا تأخير ".

ويدل على أن المراد به " جمع " قوله:

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ :وذلك أن النبي [عليه السلام] قال:

" دَعَوْتُ اللَّه أَنْ يَغْفِرَ لأُمَّتِي ذُنُوبَهَا، فأجَابَنِي: أَنِّي: قَدْ غَفَرْتُ إِلاَّ ذُنُوبَهَا/ فيمَا بَيْنَهَا، وَبَيْنَ خَلْقِي. فَأَعْدَتُ الدُّعَاءَ يَوْمَئِذٍ، فَلَمْ أُجَبْ شَيْئاً.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ المُزْدَلِفَةِ: قُلْتُ: يَا رَبّ، إِنَّكَ قَادِرٌ أَنْ تُعَوِّضَ هَذَا الْمَظْلُوم، مِنْ ظَلامَتِهِ، وَتَغْفِرَ لِهَذَا الظَّالِمِ. فأَجَابَنِي أَنِي قَدْ غَفَرْتُ.

- فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم- فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: ضَحِكْتُ مِنْ عَدُوِّ اللَّه إِبْلِيسَ، لَمَّا سَمِعَ مَا سَمِعَ: أَهْوَى يَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، وَيَضَعُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ ".

فأمر/ المسلمون أن يستغفروا - في ذلك الموضع- الذي غفر اللَّه [لهم فيه] التبعات، فيما بينهم، وهي أعظم من التبعات، فيما بينهم وبين الله.

ومعنى: { واستغفروا اللَّه }:استدعوا: المغفرة."[8]

[8]- الهداية لمكي-1-669

وهكذا يشير مكي إلى أنه لولا الإجماع من أهل التأويل على أن الإفاضة من عرفات، لكان قول الضحاك بالإفاضة من جمع، هو الوجه، لأنه على ترتيب الكلام وسياقه ولا تقديم فيه، ولا تأخير ". ثم يضيف: ويدل على أن المراد به " جمع " قوله:﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ .

نموذج من سورة النساء:

قال مكي في الهداية:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١ ﴾ النساء: ٦٠ - ٦١

قوله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ ﴾ الآية:

معناه: ألم تعلم – بقلبك– الذين يزعمون أنهم صدقوا، بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، من الكتاب، وهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمرهم اللَّه أن يكفروا به: أي: بما جاء به الطاغوت.

والطاغوت: كل ما عبد من دون الله، عز وجل– فهو جماعة، وهو يذكر ويؤنث–:

فإذا ذُكِّر ذهب به إلى معنى الشيطان.

وإذا أُنِّث ذُهب به إلى معنى الألوهية.

وإذا جمع ذهب به إلى معنى الأصنام.

قال اللَّه في التذكير: " وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ " فذكّر على معنى" الشيطان".

وقيل: هو كعب بن الأشرف.

قال اللَّه جل ذكره: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا ١٧ ﴾ الزمر: ١٧

فأنث على معنى "الألوهية".

وقال في الجمع: ﴿ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم ٢٥٧ ﴾ البقرة: ٢٥٧

فجمع على معنى: أولياؤهم: الأصنام.

قوله:﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ﴾ : أن يضلهم: أي: يضل هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت، عن الحق أي: يصدهم عنه.

وروي أن هذه الآية نزلت في رجل من المنافقين، دعا رجلاً من اليهود، في خصومة كانت بينهما. فكان المنافق يدعوه إلى اليهود، لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة. واصطلحا أن يتحاكما

إلى كاهن "جهينة" ليحكم بينهم – ورسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بين أظهرهم –.فأنزل اللَّه هذه الآية.

فقوله:﴿ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ يعني به: المنافق.

﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ : يعني به: اليهودي.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ : وهو الكاهن.

{ وَقَدْ أمروا أَن يَكْفُرُواْ بِهِ }: أمر هذا: في كتابه. وهذا في كتابه: أن يكفروا بالكاهن.

وقيل: إنهما رجلان من اليهود تخاصما، فدعا أحدهما إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم. والآخر يدعو إلى الكاهن. فمضيا، فأنزل اللَّه هذه الآية.

وقال ابن عباس: كانت اليهود إذا دعيت إلى اللَّه ورسوله، ليحكم بينهم أبوا، وقالوا: بل نتخاصم إلى كعب بن الأشرف. فأنزل اللَّه هذه الآية.

وقوله﴿ ضَلَٰلًا ﴾: مصدر لفعل دل عليه. كأنه: فيضلهم { ضَلاَلاً }

مثل: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ﴾ نوح: ١٧

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾:

هذا ذم لفعل المذكورين: أنهم يتحاكمون إلى الطاغوت. فأخبر اللَّه تعالى أنهم: إذا قيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل اللَّه ": أي: إلى كتابه جلت عظمته، وإلى رسوله صلى اللَّه عليه وسلم﴿ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ ﴾ أي: يمتنعون عنك.

و ﴿ صُدُودًا ﴾: هو – اسم للمصدر عند الخليل – والمصدر عنده: الصد. وهو: مصدر عند الكوفيين. والصد: أيضاً، مصدر عندهم.

ووقع الإخبار عن المنافق، بالصد لأنه هو الذي دعا إلى الكاهن. ولم يمض إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم.

وقال ابن جريج: دعا اليهودي، المنافق، إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم. وقيل: " دعا اليهودي، المنافق إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: فقال المنافق: بيني وبينك الكاهن. فلم يرض اليهودي بالكاهن. ومضيا إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم فحكم لليهودي، على المنافق. فقال المنافق: لا أرضى. وقال: بيني وبينك: أبو بكر. فحكم أبو بكر لليهودي، فلم يرض المنافق. فقال: بيني وبينك عمر. فمضيا إلى عمر. فأخبره اليهودي: أن المنافق قد حكم عليه النبي صلى اللَّه عليه وسلم، وأبو بكر. فلم يرض بحكمهما. فقال عمر للمنافق: كذلك ؟: قال: نعم. قال عمر: اصبر – فإن لي حاجة، ادخل فأقضيها، وأخرج إليكما–.

فدخل وأخذ سيفه، وخرج إلى المنافق، فضربه بالسيف، فقتله. فجاء أهله، فشكوا إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم، فسأله عن قصته. فقال عمر: رد حكمك يا رسول الله!. فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: "أنت الفاروق ".

ومعنى: يصدون عنك أي: عن حكمك.

﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ النساء: ٦٢- ٦٣

قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾الآية:

معنى: كيف- في هذا-: الاستفهام. ولها معان أخرى.

.....

والمعنى: كيف يكون حال هؤلاء الذين يتحاكمون إلى الطاغوت، ويزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، ويمتنعون أن يأتوا حكمك، إذا أصابتهم مصيبة أي: نزلت بهم نقمة، من اللَّه تعالى:

﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: بذنوبهم التي تلفت منهم

﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ ﴾ حالفين بالله: { إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾:

أخبر اللَّه عنهم: أنهم لا يردعهم عن النفاق: والعبر والنقمات، وأنهم إذا أصابتهم مصيبة بذنوبهم، أخذوا يحلفون كاذبين: أنا لم نرد إلا الإحسان، والتوفيق. أي: لم نرد باحتكامنا إلى الكاهن، إلا الإحسان من بعضنا البعض، ولم يرجعوا إلى التوبة، والاعتراف.

وقيل: أنهم أتوا النبي صلى اللَّه عليه وسلم، في أمر القتيل الذي قتله عمر، وحلفوا، أنا أردنا: بطلب الدم، إلا إحساناً، وموافقة الحق.

قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾:أي: يعلم ما أضمروا، من احتكامهم إلى الكاهن، وتركهم الاحتكام إلى كتاب الله، ورسوله صلى اللَّه عليه وسلم، فهو يعلم ذلك منهم، وإن حلفوا: أنا أردنا إلا الإحسان والتوفيق.

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ (أي): فدعهم، ولا تعاقبهم في أبدانهم.

ولكن { وَعِظْهُمْ ﴾ بالتخويف من اللَّه عز وجل: أن تحل بهم عقوبة منه.

﴿ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾: هذا التوعد بالقتل، لمن خالف حكم اللَّه، و كفر

وقيل: قوله ﴿ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ : مؤخر عن موضعه، يراد به التقديم:

فكيف إذا أصابتهم مصيبة في أنفسهم، بما قدمت أيديهم.

وكونه في غير موضعه – من غير تقديم ولا تأخير –: أحسن لتمام المعنى بذلك.

إنما يحسن تقدير التقديم، والتأخير: إذا لم يكمل معنى الآية.–

وتقدير التقديم والتأخير مروي عن مجاهد–.[9]

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥

قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية:

المعنى في قوله: { فَلَا } أي: ليس الأمر على ما يزعمون، أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك إذا دعوا إليك.

ثم استأنف القسم فقال: ﴿ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: وربك يا محمد: لا يؤمنون أي: لا يصدقون باللَّه عز وجل، ونبيه صلى اللَّه عليه وسلم.

﴿ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾: أي: يحكمونك، حَكَماً بينهم، في خصوماتهم.

وقرأ أبو السمأل: ﴿ شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ – بإسكان الجيم –. وهو بعيد، لخفة الفتحة.

قوله:﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ أي: ضيقاً من حكمك، أي لا تأثم أنفسهم بإنكارها حكمك، وشكها في طاعتك، لأن الحرج: الإثم.

وكأنه قال: ثم لا تحرج أنفسهم، بإنكارها حكمك– قال معنى ذلك: مجاهد، والضحاك–.

وقيل: الحرج: الشك. وكله يرجع إلى " الإثم".

﴿ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾: أي: يسلموا لحكمك، إقراراً بنبوتك.

ويروى أن هذه الآية: نزلت في الزبير بن العوام، وخصم له:

" ذكر عن الزبير: أنه خاصم رجلاً من الأنصار، وهو "حاطب بن أبي بلتعة" في شريج، من الحرة– كانا يسقيان به كلاهما–: النخل.

فقال الأنصاري: سرح الماء يمر– وكانت أرضه أسفل من أرض الزبير– فأبى عليه.

فاختصما إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم. فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم:

اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك.

فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول اللَّه أن كان ابن عمتك ؟

فتلون وجه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم. ثم قال:

---

[9] - الهداية لمكي :2-1376

يا زبير اسق. ثم تحبس الماء، حتى يرجع إلى الجَدْر. ثم أرسل الماء، إلى جارك. فاستوعب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم للزبير حقه، في صريح الحكم.

وكان أولاً: أراد النبي صلى اللَّه عليه وسلم: الرفوت، والسعة، لهما. فنزلت الآية.

وقيل: نزلت في اليهودي، والمنافق اللذين تقدم ذكرهما.- قاله مجاهد وغيره -.وهو أولى بسياق الكلام."[10]

وهكذا يرجح مكي قول مجاهد في أسباب النزول لأنه أولى بسياق الكلام.

نموذج من سورة مريم :

قال مكي في الهداية:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ مريم: ٧٠ - ٧٢

قوله تعالى ذكره: ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾إلى قوله:﴿ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾

أي: ثم لنحن أعلم بالذين ننزعهم- من كل شيعة- فنقدمهم إلى العذاب فيصلونه.

و" صلياً ": مصدر "- صلي، يصلى، صلياً- على" فعول". وأصله: صلو ي. ثم أعل، وكسرت اللام.

ثم قال:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ :

المعنى: وإنّ من هؤلاء القوم- الذين هذا القول المتقدم- قولهم في البعث: إلا وارد جهنم.

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ :

أي: اتقوا الشرك، وأمنوا بالبعث - فهي مخصوصة فيمن تقدم ذكره- على هذا القول.

وقيل: هي عامة. والمعنى: ما منكم أحد: إلا يرد جهنم. كان ذلك على ربك- يا محمد- قضاء مقضياً، في أم الكتاب.

وقال ابن مسعود، وقتادة: معناه: قضاءً واجباً.

قال ابن عباس:" الورود": الدخول. واحتج بقوله تعالى:

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٨ - وبقوله تعالى:

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ هود: ٩٨.

وقال محتجاً للدخول: دخل هؤلاء ؟ أم لا ؟.- وقاله ابن جريج-.

وقال ابن عباس: يردها: البر، والفاجر.

---

[10]-الهداية لمكي-2- 1379

وقيل: إنهم يردونها، وهي: خامدة.

وعن كعب أنه قال: تمسك النار للناس كأنها متن أ هالة، حتى تستوي عليها أقدام الخلق، برّهم، وفاجرهم. ثم ينادي بها مناد: امسكي أصحابك. ودعي أصحابي. فتخسف بكل ولي لها. فلهي أعلم بهم من الرجل بولده. وخرج المؤمنون: ندية ثيابهم.

وقال كعب: ما بين منكبي "الخازن"- من خزنة جهنم-: مسيرة سنة.

وقال ابن مسعود: الورود: الدخول.

وقال قتادة: هو الممر عليها.

وقيل: الورود: هو الجواز- على الصراط-. والصراط على شفير جهنم: مثل حد السيف.

فتمر الطبقة الأولى: كالبرق، والثانية: كالريح، والثالثة: كأجود الخيل. والرابعة: كأجود البهائم. ثم يمرون - والملائكة يقولون-: اللهم سلم، سلم.

وعن ابن عباس: أن الورود: الدخول- ولكن المخاطبة: للكفار خاصة.- وكذلك قال عكرمة-.

وقال ابن زيد: الورود عام — للمسلم، والكافر - إلا أن ورود المؤمن: المرور.

ودل على هذا: أن ابن عباس، وعكرمة: قرآ:

" وإن منهم إلا واردها"- يريدان الكفار-: برد- الهاء، والميم- على ما تقدم من ذكر الكفار.

وقرأ ابن عباس، وعلي بن أبي طالب- رضي اللَّه عنهما-:

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ - بفتح التاء-.

إلا أن عليا قرأ:" تَنحَّى"- بالحاء-وكذلك قرأ ابن أبي ليلى- بفتح التاء-.

فورود المؤمن- على الجسر- بين ظهريها. وورود الكافر: الدخول.

وعن النبي صلى اللَّه عليه وسلم أنه قال:

" الز ا لون، و ا لزا لات: يومئذٍ كثير. وقد أحاط بالجسر: سماطان من الملائكة. دعواهم- يومئذٍ- يا الله: سلم. سلم ".

وقال مجاهد: " الحمى: حظ كل مسلم من النار.

وقال أبو هريرة: " خرج رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يعود رجلاً، من أصحابه: وعكَ، وأنا معه. فقال: إن اللَّه جلّ ذكره يقول: هي ناري: أسلطها على عبدي المؤمن، لتكون حظه من النار، في الآخرة ".

وقال السدي: يردونها كلهم. ثم يصدر عنها: المؤمنون بأعمالهم.

وروت حفصة: " أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم: قال:

"إني لأرجو أن لا يدخل أحد شهد بدراً، والحديبية.

قالت: فقلت: يا رسول اللَّه: أليس اللَّه جلّ وعزّ يقول:

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ "؟ قال لها: أولم تسمعيه يقول:

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ .

وقيل: المعنى: وإن منكم إلا وارد القيامة. – وهذا اختيار الطبري– ودل على هذا قوله:

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴿١٠٢﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٢

﴿ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠١

ودل على هذا أيضاً: قوله تعالى/ قبل الآية ":

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ مريم: ٦٨

فالحشر إنما هو في القيامة."[11]

وهكذا يرجح مكي– اختيار الطبري– مستدلا بآيتين من سورة الأنبياء، وبالآية التي قبلها.

.....

نموذج من سورة الأنعام:

قال مكي في الهداية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الأنعام: ٨٤ - ٨٦

قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ ﴾ الآية:

قوله: ﴿ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ ﴾: عطف على "كل "، أي: وهدينا داوود.

وقيل: هو عطف على ﴿ إِسْحَاقَ ﴾: أي: وهبنا له داوود.

وقيل: هو عطف على ﴿ وَنُوحًا ﴾.

والهاء في ﴿ ذُرِّيَّتِهِ ﴾: تعود على (إبراهيم).

وقيل: على " نوح "– وهو قول الطبري– قال: لأن في سياق الكلام المعطوف:

"لُوطاً ".ولوط لم يكن من ذرية إبراهيم، إنما هو من ذرية نوح. فالمعنى: وهدينا نوحاً– من

[11] -الهداية لمكي-7-4578

قبل إبراهيم – وهدينا – من ذرية نوح–: داود، ومن بعده.

﴿ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾: وقف حسن.

﴿ وَإِلْيَاسَ ﴾: أيضاً: وقف عند أبي حاتم. ولا يحسن عند غيره، لأن بعده:

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ ﴾: معطوف عليه.[12]

وواضح هنا استشهاد مكي بقول الطبري الذي يجعل "الهاء" في" ذريته": تعود على" نوح " معللا ذلك، بأن في سياق الكلام المعطوف: "لوطا"، ولوط لم يكن من ذرية إبراهيم، إنما هو من ذرية نوح.

نموذج من سورة القيامة:

قال مكي في الهداية:

﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ ﴾ القيامة: ٧ - ١٠

﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ : ﴾

﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ ﴾ : – من فتح الراء: فمعناه: لمع– عند الموت–.

–ومن كسر: فمعناه: حَارَ، وفَزِعَ –عند الموت–.

قال قتادة: ﴿ بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴾ : شخص. يعني: عند الموت.

وقيل: ذلك– يوم القيامة–: عند المبعث.

وسياق الكلام: يدل على ذلك، لأن بعده:

﴿ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ ﴾ القيامة

فهذا كله– يوم القيامة– يكون. فكذلك " بَرِقَ البصر ".

وقيل: الفتحُ– في الراءِ، والكسرُ–: لغتان. بمعنى: لَمعَ، وشَخَصَ.

ويدل: على صحة ذلك: قوله:

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ إبراهيم: ٤٣

فهذا هو: الشخوص: لا تُطْرَفُ أَعينُهُم. وذلك: من شدة، هول يوم القيامة.[13]

وواضح –هنا– قول مكي وترجيحه أن "برق البصر": يكون يوم القيامة، مستدلا بسياق الكلام، وما بعده من الآيات.

---

[12]-الهداية لمكي- 3- 2091

[13]-الهداية لمكي:12-7865

قال مكي في مشكل الإعراب:

﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾ ﴾ الإنسان: ٣١

قَوْله: ﴿ وَٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ : نصب على اضمار فعل. أَي: "ويعذب الظَّالِمين، أعد لَهُم عذَابا" لِأَن إعداد الْعَذَاب، يؤول الى الْعَذَاب. فَلذَلِك حسن اضمار" يعذب"، اذ قد دلّ عَلَيْهِ سِيَاق الْكَلَام. وَلَا يجوز إضمار" أعد" لِأَنَّهُ لَا يتَعَدَّى إِلَّا بِحرف. فإ نما يضمر فِي هَذَا- وَمَا شابهه- فعل يتَعَدَّى بِغَيْر حرف، مِمَّا يدل عَلَيْهِ سِيَاق الْكَلَام، وفحوى الْخطاب.

وَفِي حرف عبد الله: " **وللظالمين أعد لَهُم**"- بلام الْجَرّ- فِي" الظَّالِمين"، على تَقْدِير: وَأعد للظالمين، أعد لَهُم.

وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ إِنَّمَا انتصب" والظالمين"، لِأَن الْوَاو- الَّتِي مَعَه-: ظرف للْفِعْل، وَهُوَ أعد. وَهَذَا كَلَام لَا يتَحَصَّل مَعْنَاهُ.

وَيجوز رفع" الظَّالِمين": على الِابْتِدَاء. وَمَا بعده: خَبره.

وَقد سمع الْأَصْمَعِي من يقْرَأ بذلك، وَلَيْسَ بمعمول بِهِ فِي الْقُرْآن، لِأَنَّهُ مُخَالف لخط الْمُصحف، ولجماعة الْقُرَّاء.

وَقد جعله الْفراء- فِي الرّفْع- بِمَنْزِلَة قَوْله تَعَالَ: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ الشعراء وَلَيْسَ مثله، لِأَن" والظالمين" قبله:" فعل" عمل فِي مفعول، فعطفت الْجُمْلَة على الْجُمْلَة. فَوَجَب أَن يكون الْخَبَر فِي الْجُمْلَة الثَّانِيَة: مَنْصُوبًا، كَمَا كَانَ الْخَبَر فِي الْجُمْلَة الأولى- فِي قَوْله: "﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ ﴾.

وَقَوله﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ ﴾ : قبله جملَة من ابْتِدَاء، وَخبر. فَوَجَب أَن تكون الْجُمْلَة الثَّانِيَة كَذَلِك. فالرفع: هُوَ الْوَجْه فِي" الشُّعَرَاء". وَيجوز النصب فِي غير الْقرَان.

وَالنّصب: هُوَ الْوَجْه فِي : "**والظالمين**".

وَيجوز الرّفْع فِي غير الْقُرْآن. فَهَذَا أصل يعْتَمد عَلَيْهِ فِي هَذَا الْبَاب.[14]

وهكذا نرى مكيا يعقب على ما جاء- في الفقرة الأولى- من إضمار فعل، بقوله:

[14] - مشكل الإعراب لمكي:2-790

فإ نما يضمر فِي هَذَا وَمَا شابهه فعل يتَعَدَّى بِغَيْر حرف، مِمَّا يدل عَلَيْهِ سِيَاق الْكَلَام، وفحوى الْخطاب.

مراعاة سياق الكلام في كتاب" الكشف عن وجوه القراءات" :

كثيرا ما نرى مكيا –في ترجيحاته، واختياراته، في كتاب الكشف–يراعي سياق ا لكلا م وسنعرض نماذج مما جاء في هذا الكتاب:

نموذج من سورة آل عمران:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ٧٩

﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ :

قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف– بضم التاء، وكسر اللام مشددا ": " تُعَلِّمُونَ ". وقرأ الباقون– بفتح التاء واللام مفتوحا مخففا " أي تعلَمون " .

وحجة من شدد: أن التعليم إنما هو من العلم ، لأن كل معلم عالم بما يعلم ، وليس كل عالم بشيء معلماً .

فالتشديد يدل على العلم والتعليم ، والتخفيف إنما يدل على العلم فقط.

فالتعليم أبلغ وأمدح. والمعنى بتعليمكم الناس الكتاب —

يتعدى الفعل هنا إلى مفعولين : الأول: محذوف في الكلام – .

وحجة من خفف أنه حمله على ما بعده من قوله " تدرسون"– مخففا – ولم يقل: "تدرسون ". وكل من درس: علم. وليس كل من درس: علَّم . والمعنى: لكونكم عالمين بالكتاب .– وفي هذ القراءة: يتعدى الفعل إلى مفعول واحد، هو الكتاب–"[15] .

قال مكي بعد أن وجه قراءة التخفيف: فحمل الفعلين على معنى واحد أليق وأحسن، في المطابقة والمجانسة .–وهي مصطلحات تتصل بمراعاة سياق الكلام–.

نموذج من سورة الكهف:

قال مكي في كتابه " الكشف":

[15] -الكشف عن وجوه القراءات-1-351

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ الكهف: ٤٧

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر- بالتاء وفتح الياء ورفع الجبال: " تسير الجبال " .

وقرأ الباقون- بالنون وكسر الياء ونصب الجبال- .

وحجة من قرأ بالنون: أنه بناه على الإخبار من ذكره عن نفسه، إذ هو فاعل كل الأفاعيل، ومدبرها، ومحدثها، وانتصبت "الجبال" بوقوع الفعل عليها، لأن الفعل مبني للفاعل. وقوى ذلك أنه محمول على ما بعده من الإخبار. فيقول: " وحشرناهم " فجرى صدر الكلام على آخره، لتطابق الكلام.

وحجة من قرأ بالتاء أنه بنى الفعل للمفعول، فرفع الجبال لقيامها مقام الفاعل، فهي مفعول لم يسم فاعله. ويقوي ذلك قوله: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ النبأ: ٢٠ "

وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ ﴾"[16] التكوير: ٣ "

وواضح قول مكي محتجا لقراءة من قرأ –بالنون وكسر الياء–:

وقوى ذلك أنه محمول على ما بعده من الإخبار. فيقول: " وحشرناهم " فجرى صدر الكلام على آخره لتطابق الكلام، يريد بالتطابق: التوافق بين قوله "نسير" وقوله "وحشرناهم" حيث يعود الفعلان إلى الذات الإلهية. وهذا ولا شك إحدى تعبيراته عن مراعاة السياق.

نموذج من سورة" المؤمنون"

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ المؤمنون: ٩١ - ٩٢

قوله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

يقول مكي: قرأ نافع وشعبة وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف بالرفع في : " عَٰلِمِ".

وقرأ الباقون بالخفض .

–من قرأ بالرفع: جعله خبر ابتداء محذوف، وفيه معنى التأكيد. أي هو عالم . فيكون الكلام مستأنفا، مقطوعا عما قبله .

[16]-الكشف لمكي:2-64

-ومن قرأ بالخفض: جعله نعتا لله في قوله تعالى " سبحان الله " فيكون متصلا بالكلام الأول غير مقطوع"[17] .

وقد صرح مكي باختيار قراءة الخفض، ليتصل الكلام بعضه ببعض، ويكون كله جملة واحدة.

نموذج من سورة الأنعام

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦ ﴾ الأنعام: ٩٦

قال مكي:

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: " وجعل"- بدون ألف- ونصب الليل بالفعل .

وقرأ الباقون: "جاعل"- بالألف- وخفض الليل .

-فأما من قرأ "وجعل": فقد عطف الفعل الماضي على معنى اسم الفاعل "فالق"

- في الموضعين- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ ﴾

وقوله : ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾ لأن "فالق" بمعنى "فلق"، لأنه أمر قد كان ، وأيضا فإن بعده: أفعالا ماضية، فحمل عليها، وهو قوله :﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ ﴾الأنعام: ٩٧

وقوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ٩٩ ﴾ الأنعام: ٩٩

فحمل أول الكلام على آخره في " فعل " لتكرر ذلك، ويقوي ذلك: إجماعهم على نصب " الشمس" وما بعده- على إضمار " فعل "،

ولم يحملوه على " فاعل " فيخفضوه. فأجري ما قبله عليه، للمشاكلة لما بعده .

-وأما من قرأ " جاعل " على وزن " فاعل " وخفض " الليل ": فللمشاكلة بينه وبين ما قبله في اللفظ، ويقوي ذلك أن حكم الأسماء: أن تعطف عليها أسماء مثلها، فكان عطف " فاعل " على " فاعل " أولى من عطف " فعل " على اسم ."[18]

وواضح كلام مكي في توجيهه : بحمل أول الكلام على آخره، للقراءة الأولى. وبالمشاكلة بينه وبين ما قبله-في القراءة الثانية. وهي مصطلحات تتصل بسياق الكلام اتصالا وثيقا.

---

[17] - الكشف لمكي-1-

[18] - الكشف لمكي:1-442

نموذج من " الهداية" و" مشكل الإعراب":

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٥ - ٩٦

قوله﴿ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾:

قال مكي في " الهداية" :

قال: أتعبدون: أي: قال إبراهيم لقومه:" أتعبدون ما تنحتون بأيديكم من الأصنام، والله خلقكم وعملكم".

وأجاز النحويون أن تكون" ما" بمعنى: الذي. وأن تكون، وما بعدها: مصدراً. وهو أحسن.

وأجازوا: أن تكون نافية، بمعنى: "وما تعملون شيئاً". ولكن الله: خالقه"[19].

وقال مكي في مشكل الإعراب :

" مَا": فِي مَوضِع نصب، بِخلق – عطف على الْكَاف وَالْمِيم، فِي" خَلقكُم"– وَهِي وَالْفِعْل: مصدر. أَي: خَلقكُم وعملكم. وَهَذَا أليق بهَا لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ:

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ ﴾ الفلق: ٢ :

فأجمع الْقُرَّاء المشهورون، وَغَيرهم– من أهل الشذوذ– على اضافة شَرّ: الى مَا خلق. وَذَلِكَ يدل على خلقه للشر.

وَقد فَارق عَمْرو بن عبيد– رَئِيس الْمُعْتَزلَة– جمَاعَة الْمُسلمين فَقَرَأَ: " من شَرّ مَا خلق" – بِالتَّنْوِينِ– ليثبت أَن مَعَ الله خالقين يخلقون الشَّرّ. وَهَذَا الحاد.

وَالصَّحِيح: أَن الله جلّ ذكره أعلمنَا أَنه خلق الشَّرّ، وأمرنا أَن نتعوذ مِنْهُ، بِهِ. فاذا خلق الشَّرّ، وَهُوَ خَالق الْخَيْر بِلَا اخْتِلَاف، دلّ ذَلِك على أَنه خلق أَعمال الْعباد كلهَا من خير، وَشر. فَيجب أَن تكون" مَا" وَالْفِعْل: مصدرا . فَيكون معنى الْكَلَام: أَنه تَعَالَى عَم جَمِيع الْأَشْيَاء أَنَّهَا مخلوقة لَهُ. فَقَالَ" وَالله خلقكُم وعملكم".

وَقد قَالَت الْمُعْتَزلَة: إِن" مَا": بِمَعْنى الَّذِي– فرارا من أَن يقرُّوا بِعُمُوم الْخلق لله–. وانما اخبر على قَوْلهم: انه خلقهمْ، وَخلق الْأَشْيَاء الَّتِي نحتت مِنْهَا الْأَصْنَام، وَبقيت الْأَعْمَال والحركات غير دَاخِلَة فِي خلق الله، تَعَالَى الله عَن ذَلِك، بل كل من خلق الله، لَا خَالق الا الله.

[19] -الهداية:12-6130

وَخلق الله لإبليس الَّذِي هُوَ الشَّرّ كُله، يدل على خلق الله لجَمِيع الْأَشْيَاء. وَقد قَالَ تَعَالَى ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴿٣﴾ ﴾ فاطر: ٣ " وَقَالَ:

﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٢

وَيجوز أَن تكون" مَا": استفهاما- فِي مَوضِع نصب ب"تعملون"- على التحقير لعملهم، والتصغير لَهُ-".[20]

والملاحظ أن مكيا أضاف في كتاب الهداية قولا آخر-غير القولين المشهورين- وهو قوله : "وأجازوا: أن تكون نافية، بمعنى: "وما تعملون شيئاً". ولكن الله: خالقه.

كما أضاف قولا آخر في كتاب مشكل الإعراب، وهو قوله :

" وَيجوز أَن تكون" مَا": استفهاما- فِي مَوضِع نصب ب"تعملون"- على التحقير لعملهم، والتصغير لَهُ".

ولا شك أن التكلف واضح في- هذين القولين المضافين- ومن ثم فلن نتوقف عندهما.

أما ما قاله مكي في هذه الآية في كتابيه- "الهداية" و"مشكل الإعراب"- حول القولين المشهورين-: فقد خالف منهجه في مراعاة السياق. والذي أوقعه في هذه المخالفة: رغبته في الرد على المعتزلة الذين لا يقولون بخلق الأفعال لله تعالى.

-علما بأن مكيا تتبع المعتزلة في كتابيه: الهداية، ومشكل الإعراب- ورد عليهم ردودا قوية، ونسبهم إلى الجهل بالعربية-.[21]

والحقيقة بأن ما ذهب إليه مكي-في أن الآية: في خلق الأفعال-لا يتفق مع سياق الآية التي قبلها.-ومن ثم اضطر مكي أن يستشهد بآيات أخر تدل على خلق الأفعال، لشعوره بضعف دلالة الآية على ما يريده منها. بل المعنى المستفاد من سياق الآيتين يرجح أن تكون " ما " بمعنى "الذي"، علما بأن أهل التفسير ذكروا القولين بمستوى واحد.

بل إن أهل الجبر: بنوا مذهبهم على المعنى الثاني ، الذي يفيد خلق الأفعال.

والآية- عل كلا القولين- تفيد التقرير. علما أننا لو وضعنا الآية في سباقها، نرى أن المعنى ينتقل من التقرير، إلى الإنكار.

---

[20]- مشكل الإعراب:2-616

[21]-انظر: " مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن" أ.د. أحمد حسن فرحات: ص:336-344

ذلك أن الآية التي قبلها- جاءت على لسان إبراهيم عليه السلام-مخاطبا قومه المشركين الذين يعبدون الأصنام- التي ينحتونها بأيديهم، قائلا :

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٥ - ٩٦

حيث يصير المعنى: أفتعبدون الذي تنحتون من الأصنام، والله خلقكم وخلق الأصنام التي تنحتونها. فهو ينكر عليهم هذا الفعل.

وعلى هذا لابد أن تكون " ما ": موصولة.

ولو قلنا بأن" ما ": مصدرية، لم يستقم معنى الآية، ذلك أن " عملكم"- المؤول بالمصدر-: إما أن يعود إلى: "أتعبدون "، أو يعود إلى: "تنحتون".

- فيكون المعنى على القول الأول: أفتعبدون ما تنحتون. والله خلقكم وعبادتكم؟ وهذا المعنى لا يستقيم لأن أوله إنكار، وآخره تقرير، وكأنه بذلك يعطيهم حجة لفعلهم، على حين هو يريد أن يقيم الحجة عليهم.

-ولو قلنا إن المصدر المؤول يعود إلى "تنحتون": يكون المعنى: أفتعبدون ما تنحتون. والله خلقكم ونحتكم "؟

وهذا المعنى لا يستقيم أيضا، إلا إذا جعلنا المصدر المؤول " نحتكم"، بمعنى: اسم المفعول:" منحو تكم ". وبذلك يعود إلى معنى "ما" الموصولة. غير أن هذا القول يحتاج إلى تقدير. والمعنى الأول: أولى، لأنه لا يحتاج إلى تقدير.

خاتمة: وبعد هذه الجولة في كتب مكي ودراساته التفسيرية، يتضح لنا تماما كم كان مكي حريصا على مراعاة سياق الكلام، نظرا لأثره الكبير، في إدراك الدلالات والمقاصد، والتي يترتب عليها الوصول إلى لباب المعاني وصوابها.

-والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات-

أ. د. أحمد حسن فرحات

مراجع البحث:

-الهداية إلى بلوغ النهاية –طبعة جامعة الشارقة.

-الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه –طبعة دار المنارة-جدة. بتحقيق:

أ. د. أحمد حسن فرحات

-مشكل إعراب القرآن –بتحقيق د . حاتم الضامن.

-الياء ات المشددات في القرآن وكلام العرب-المكتبة الدولية-الرياض- بتحقيق:

أ. د. أحمد حسن فرحات

-مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن-أ. د. أحمد حسن فرحات

- الكشف عن وجوه القراءات-لمكي-تحقيق د. محي الدين رمضان.

-أمالي ابن الشجري-بتحقيق: د. محمود محمد الطناحي